الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مخبر الشعرية الجزائرية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مم ضص لتق لآ مم لآ ون مم سس شد لآ مم ى عه لآ مم ج: الرواية الجزائرية في ضوء المناهج النقدية المعاصرة.

مم نخ سس لإ ى م: إشكالية توظيف المناهج النقدية الجديدة في الرواية الجزائرية.

غني مم نت: مم خص لتق لآ مم كلآ تلآ مم هلآ تي لص لم ق لآ ين شت مم ذ عي قم شر يـ.

الإسم: فاروق

اللقب: سلطاني

الصفة: طالب سنة أولى دكتوراه بجامعة: محمد بوضياف بالمسيلة

عنوان البريد الإلكتروني: nor.sol7@hotmail.com

رقم الهاتف: 0658490072

الأستاذ المشرف: د/ دهيمي حكيم

ملخص:

مثلت الحداثة منطلقا جديدا في النقد العربي من خلال عامل المثاقفة، الذي مكن النقاد العرب من الإطلاع والتأثر بالمنجز النقدي الغربي، في صورة المناهج النقدية المعاصرة، فسعى إلى تمثلها وتلقفها لدراسة وتحليل الخطاب الأدبي عامة والروائي خاصة، فنعكس هذا التأثر في ظل الحركة النقدية على الناقد العربي الذي وجد ذاته منفتحة على الكم المتعدد من المناهج النقدية، والمختلفة من الناحية الكيف في الدراسة والتحليل الخطاب الأدبي، والذي سعى إلى تكييف آلياتها النقدية لدراسة المنجز الروائي بصورة تتناسب مع رؤيته النقدية للوصول لغاية نقدية معينة، وهو ما نسعى إلى دراسته من خلال هذه المداخلة.

الكلمات المفتاحية: الحركة النقدية، المثاقفة النقدية، الركام المنهجي النقدي، المناهج النقدية السياقية، المناهج النقدية النسقية، إشكالية توظيف المناهج النقدية (التجربة المرتاضية).

Résumé:

La modernité représentait une nouvelle forme de la critique arabe à travers le facteur d'acculturation, ce qui a permis les critiques arabes de l'accès et de la vulnérabilité des programmes de la critique occidentale, sous la forme de curriculum critique contemporaine en cherchant à présenter et à saisir dans l'étude et l'analyse du discours littéraire en général et le romancier en particulier, projetant cette vulnérabilité dans le mouvement critique où le porte-parole trouva ouverte sur le multi quantique de ses approches qualitatives aux études réalisés de manière romancier en rapport avec la vision critique pour atteindre certaines espèces jusqu'à, ce qui est ce que nous essayons de l'étudier grâce à cette intervention.

تمهيد:

إن الحداثة التي أدركها النقد العربي، خلال الستينات من القرن الماضي، شكلت منعرجا حاسما، ومنطلقا جديدا لمسار الخطاب النقدي العربي، شاهدا على كيفية نقدية جديدة تختلف في الشكل والمضمون، في دراستها وتحليلها للخطاب الأدبي، خاصة الرواية كجنس سردي جديد في الساحة الأدبية سعى النقد العربي إلى دراسة بنيتها السردية مستندا إلى ما تلقفه من مناهج نقدية معاصرة، فالحداثة شكلت من المثاقفة منطلقا في إرساء نموذج نقدي جديد، من خلال تأُثره بالمناهج النقدية المعاصرة (المناهج السياقية/ المناهج النسقية)، فسعى النقد الأدبي إلى إستيعابها وتمثلها، وتلقفه للآليات والمرتكزات النقدية التي تستند إليها هذه المنهاج النقدية المعاصرة في تعاملها مع الخطاب

الأدبي بمختلف أجناسه خاصة الرواية، فكان لتلك الجهود في التنظير النقدي المعاصر أن بعثت الروح النقدية لدى الباحثين والنقاد العرب من جديد، فقد إستطاعت تلك المناهج النقدية، أن تنقل النقد العربي من حالة الجمود والركود الذي عرفه قبيل فترة الحداثة، والذي كان قائم على الذوق والانطباعية، إلى نقد جديد قائم على مناهج نقدية ترتكز على منهج يحتكم إلى الموضوعية والدقة في تعاملها مع الخطاب الأدبي، منطلقا من مرتكزات الإبستيمولوجية لها إرهاصاتها في التراث النقدي الغربي، فكان لها تأثير واسع في النقد العربي الحديث من خلال تلقفه وتمثله لتلك المناهج النقدية المعاصرة، وهو ما يمكن أن نطلق عليه مفهوم الحركة النقدية التي ترصد لتلك التحولات النقدية التي أدركها النقد العربي الحديث من خلال تأثره بالمناهج النقدية المعاصرة، من السياقية إلى النسق، إلى سلطة القارئ، سعيا من الناقد العربي توظيف الآليات النقدية التي تستند لها تلك المناهج في دراسة وتحليل خطاب الأدبي عامة والسردي خاصة في صورة الرواية كنموذج.وهنا نطرح الأسئلة التالية:

1_ كيف تمثل النقد العربي لتلك المناهج النقدية المعاصرة ؟.

2_ هل يمكن أن تصل هذه المناهج النقدية بما تتصف به من موضوعية وشفافية إلى درجة عولمة المناهج النقدية، بخلقها منتجا نقديا شاملا صالح لكل الخطاب الأدبي؟.

3_ ما هي الإشكالية المترتبة عن الركام النقدي للمناهج النقدية في دراسة الخطاب السردي؟

إن البحث عن مفهوم أي مصطلح يتطلب البحث من الناحية الأولية التعريج على دلالته من خلال المعاجم اللغوية، والتي تمثل البوابة الأولى التي يلج عليها الباحث لفك الغموض المعرفي الذي يحمل عن أي مصطلح قد شكل حوله في تصوراته الأولى سورة مبهمة، فالمعاجم اللغوية قد تناولت مصطلح الحركة بشكل مفصل المفهوم من خلال مادة (ح ر ك)، فقد جاء في لسان العرب (حرك) في جزء الحاء مادة (ح ر ك) بمعنى لا سكون: "الحركة ضد السكون، حرك يحرك حركه وحركا وحركه، فتحرك قال الأزهري :وكذلك يتحرك وتقول قد أعيا به حراك، قال ابن سيده :وما به حراك أي حركه، وفلان ميمون الحريكة، والمحراك التي تحرك بها النار"[1].

ويأخذ المصطلح الحركة في قاموس المحيط للفيروز آبادي مفهوم التبدل والإنتقال، فمعنى حرك: "حرك ككرم حركا بالفتح قال شيخنا: ذكر الفتح مستدركا لفظا ومعنى، أما لفظا فإن الإطلاق

كاف فيه كما هو اصطلاحه، وأما معنى فإنه غير صحيح إذ لا قائل به بل صرح إبن القطاع والفيوم وغير واحد أنه محرك ككرم وشرف ونحوهما، وهذا الذي أنكره شيخنا هو الواقع، في كتاب العين والمضبوط بالفتح هكذا وحركه هو ومثله في نسخ العباب وتقيده بالفتح في محله، لإزالة الاشتباه فانه جاء على غير قياس الباب، وحركته فتحرك عن أبي هريرة، رضي الله عنه أنه قال :بالتحريك، وإنما لم يضبطه لشهرته ضد السكن،أمنت بمحرف القلوب ورواه بعضهم بمحرك القلوب، قال الفراء :المحرف المزيل والمحرك: المقلب، ويقال ما به حراك كسحاب: أي حركه"[2].

فالحركة من الناحية اللغوية تأخذ معنى: الإنتقال، وهي ضد السكون.

أما من الناحية الإصطلاحية فهنالك صعوبة في محاولة تعريف مفهوم الحركة من خلال كلمات أو عبارات مختصرة، فتاريخيا نجد أن أرسطو من الأوائل الذين نظروا لمفهوم الحركة، من حيث أن الحركة هي الإنتقال من الممكن إلى الواقع هو الذي يحدد الحركة أي الفعل لتحقيق الممكن بما هو ممكن، إن الحركة تفترض في كل تغيير الانتقال من الوضع الافتراضي (virtuel)، إلى الواقع من حيث: "إن الحركة هي فعل الممكن"[3].

فيأخذ المفهوم الاصطلاحي للحركة بما يقابلها في اللغة الفرنسية (mouvement)، والتي تعني الإنتقال من حالة جمود إلى حاله نشاط، وهنالك ممن يفضل مصطلح (transmission)، بمعنى إرسال أو نقل حيث تتبع عادة بلفظ أخر حركة ثقافية، تاريخية وهي في كل الحالات تشير إلى سلسلة الأفعال والجهود المبذولة من طرف جماعة معينة ومن أجل تحقيق هدف أو أهداف معينة مشتركة بين جميع أعضائه"[4].

وتأخذ الحركة قيمة أساسية في التفاعل الحياتي من خلال أن الحركة وسيلة من وسائل التي تترجم الأفكار كغاية للتعلم التي يرجوها الإنسان، وهذا ما نجده في هذا التعريف: "الحركة هي النشاط وهي شكل من الأساسي للحياة وهي طريقة أساسية في التعبير عن الأفكار والمشاعر والمفاهيم وعن الذات بشكل عام، وتعد الحركة من أقدم أشكال الاتصال والمشاركة الوجدانية والفكرية، وهي تعد من طرق التعلم قديما وحديثا وهي تساعد الفرد على اكتساب الجوانب المعرفية وتشكيل المفاهيم وحل المشكلات"[5].

نستخلص أن المفهوم اللغوي والإصطلاحي يشترك في المعنى العام من خلال: أن الحركة مظهر عام من مظاهر النشاط قائم على التنظيم، ويحمل غاية ما في سبيل الانتقال من وضع أعلى قيمة من ما كان عليه من قبل، بحيث يتبع هذا الإنتقال تغيرات في نظام الفكري العام قائم على المشاركة، تستند على التأثر والمرجعية نحو الأخر ككيان معرفي تسعى إلى تمثله، ملاحقته، أو تجاوزه.

إن مفهوم النقد قد عرف تطورا في المفهوم مع مرور الزمن وفق سياقات معرفية لها أسسها الإبستيمولجية ليتماشى مفهوم النقد مع التطور الخطاب الأدبي وتنوع الأجناس الأدبية التي عرفتها الساحة الأدبية، ذلك أن النقد في النقد الأدبي القديم يحمل مفهوم التمييز بين جيد الشعر ورديئه، فمن أوائل النصوص النقدية التي تتضمن كلمة {نقد/ناقد}، نص لإبن سلامة الجمحي في "طبقات فحول الشعراء": "وللشعر صناعة وثقافة يعرفه آهل العلم، بها كسائر أصناف العلم، والصناعة منها ما يثقفه اللسان، ومن ذلك اللؤلؤ والياقوت، لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة بالبصر، ومن ذلك الجهبذ بالدينار والدرهم، لا تعرف جودتها، ويعرفه الناقد عند المعاينة فيعرف بهرجها وزائفها"[6].

ولقد كان للتطور النقدي الذي مسته الحركة النقدية في ستينات القرن الماضي الأثر الكبير في الممارسة النقدية في تحليلها وتناولها للنصوص الأدبية من خلال أن النقد صار يرتبط ارتباطا وثيقا بالمنهج، فلا يمكن أن تقوم عملية نقدية دون الاستناد على منهج له ضوابطه وطرقه النقدية، فشكلت الحداثة نقطة تحول كبيرة في النقد من خلال المناهج النقدية التي أعطت للنقد مفهوما جديدا وفق آليات معينة تستند في تناولها للنص الأدبي على مرتكزات لها أصولها الفلسفية والتنظيرية، فقد صار النقد قائم إلى الموضوعية والدقة، منتهجا خطوات إلى الأمام على ما كان عليه النقد من قبل وصار النقد يركز مستجدات ما تنتجه النصوص الأدبية من جمالية من خلال "النقد حديث حول الأدب"[7].

إن البحث في ماهية النقد، دفع العديد إلى تتبع العملية النقدية من خلال الإحاطة بمعالم النقد التي تقوم بالأساس على غاية سامية هي الإهتداء إلى السبيل إلى حقيقة النص، وهذه الغاية تجعلنا نقف على نوعين من النقد فيما يقول عبد الملك مرتاض: "إن النقد النظري يبحث في أصول النظريات، وفي جذور المعرفيات وفي الخلفيات الفلسفية لكل نظرية وكيف نشأت، على حين أن النقد التطبيقي إنما يكون إنما يكون ثمرة من ثمرات النقد النظري الذي يزوده بالأصول والمعايير والإجراءات والأدوات، ويؤسس له الأسس المنهجية التي يمكن أن يتخذ منها سبيلا يسلكه لدى التأسيس لقضية نقدية"[8].

إن المتتبع لتطور مفهوم النقد يتوصل إلى خلاصة مفادها أنه من الصعب الوقوف على مفهوم دقيق للنقد وذلك لتعقدها من جهة وترابطها بما هو حاصل في العملية الإبداعية من فترة لأخرى "من الصعب إيجاد مفهوم دقيق وشامل قائم بذاته للنقد ذلك أن طبيعة النقد تخضع لقيمة التطور والتفاعل مع نتائج العلوم الإنسانية، في بيئتها المختلفة والتي يستفيد الناقد في تبرير مقاييسه وإعطائها صفة الموضوعية "[9].

فالحركة النقدية (le mouvement de critique) عبارة تحمل دالين لكل منهما دلالة محددة خاصة به، فالحركة كما رأينا سابقا هي مجموع التغييرات التي تعمل على التبدل والإنتقال من وضع إلى أخر لبلوغ هدف معين، بينما النقدية {النقد} هي الدراسة الموضوعية للنص الأدبي، من أهم أهدافه "تحليل النص من خلال كشف حقل الدلالات فيه، إظهار قوانينه الداخلية إثارة هيكل البنية والوصول إلى ما تحمله البنية من مضمون ورؤية العلاقة بين المضمون، وما هو خارج النص"[10].

ومن هنا تصبح الحركة وسيلة لوصف ظاهرة عامة حاصلة في النقد الأدبي من خلال تتبع ورصد تلك التعييرات والنشاطات النقدية التي صار النقد العربي يدركها في العصر الحديث، من خلال تأثره بنقده غربي يفوقه قيمة، كونه نقد مؤسس على تراكمات عمد على تطويرها، فتصور الحركة النقدية بجلاء تلك الصيرورة النقدية التي تتسم بالتعدد والتنوع "ذلك أن النقد الأدبي صار ينتمي إلى إيديولوجيات واتجاهات فكرية ونظريات معرفية التي من شأنها أن تساعده في إنارة النص الأدبي"[11].

فالحركة النقدية تتجسد كمرحلة إنتقالية لها دوافعها الإبستيمولوجية، التي تنطلق منها كون النقد العربي كان يتخبط في الضعف والانحطاط أمام نقد غربي يشهد حركية وتطورية في ممارسته للعملية النقدية على نصوص الأدبية، فكان لزاما أن يتأثر النقد العربي بهذه الحركة النقدية لأنه يأخذ موقعا من ممارسة ثقافية تشمل كل الأطراف الفاعلة في النقد "إذا كان النقد حلقة في السلسلة الثقافية التي تسود المجتمع في ظروف معينة فانه من غير شك يتأثر بالوضع الثقافي العام في الوقت الذي يمارس فيه هو الأخر تأثيره في البنية الثقافية"[12].

فلقد شكل اهتمام النقد والنقاد العرب بالمناهج النقدية الغربية، لأنهم يرون فيها منهجا للإنتقال والتخلص من زيف الجمود "لقد تمثل النقد العربي المناهج النقدية الغربية واحتضنها باعتبارها حركة تنوير في الثقافة العربية وثمرة الفكر العقلي في بداية النهضة فهي قمة التنوير في عالمنا العربي المعاصر"[13]، فالحركة النقدية التي عايشها النقد العربي في مرحلة الحداثة وما إتسمت به من سياقات إزاء حملة نابليون على مصر، بالإنفتاح والتواصل الثقافي بين الضفتين الغربية والعربية في مجال

النقد الأدبي كان له سمته البارزة على الحركة النقدية، لأنها تمثل روحا جديدا للتجديد النقدي في دراسة النصوص الأدبية، فهي شكلت نقله لها قيمتها التجديدية نحو الأحسن قائمة على التجديد والتحديث ويعد أهم شيء في غاية التجديد هو أن النقد صار يستند على منهج فلا ينفك عنه، فلا نقد بدون منهج يوجهه ويبين له آلياته التي يرتكز عليها، فالمنهج في مجال النقد هو ما يجعله يرتقى عن تلك الممارسات النقدية السابقة التي كانت تستند على الذوق والانطباعات الغير مؤسسة، وهذا ما يحسب للحركة النقدية من خلال تمثلها لمنهج ينظم وبأطر العملية النقدية بشيء من لنظام والدقة والتأسيس.

نتوصل من خلال تتبع مفهوم الحركة النقدية أن تأثر النقد العربي بالمناهج النقدية الغربية إنما تميز بنوعين من طرق التأثر:

1/تأثر مباشر: من خلال بالمناهج النقدية الغربية في موطنها الأصلي، عن طريق البعثات العلمية،الترجمة، المستشرقين من خلال الإحتكاك المباشر بالمناهج النقد الغربي، فلقد بدأت الترجمة والـ تأليف تأتي أكلها وفعالياتها في لحركة النقدية من خلال ميزة التواصل والتبادل المعرفي التي احتوتها الترجمة، فالترجمة شكلت آلية هامة باعتبارها حوار الثقافات"تبرز الترجمة كوسيلة بين الشعوب لتبادل ثقافتها والوصول إلى كل معارفها، إن ترجمة أي منتج ثقافي سواء كان مصطلحا أو كتابا أو منهجا فكريا أو فلسفة، أو قصيدة بنقله إلى لغة وثقافة أخرى يعين في أبسط صوره الدخول في علاقة مع تلك الثقافة ,تلك الثقافة يصفها البعض بأنها حوار يقوم فيها المترجم بوظيفة الوسيط المنسق الباحث عما هو أقرب تحقيقا للتفاهم والفائدة المشتركة "[14].

2/تأثر غير مباشر: من خلال تأثر بالمناهج النقدية الغربية بين النقاد العرب أنفسهم داخل أوطانهم العربية،بين المشرق العربي وبلدان المشرق العربي، من خلال الندوات وملتقيات العلمية، الأعمال والدراسات النقدية باجتهادات خاصة، العمل الأكاديمي بين الجامعات، كما نسجل تباين في تلقي المنتج النقدي من خلال ما تصنعه الحركة النقدية في الوطن العربي من خلال التباين بين المشرق العربي والمغرب الغربي، إلا أنها في سنين الأخيرة تشهد حركية كبيرة ونشطة في دول المغرب العربي "فالحركة النقدية الجزائرية متفوقة على كثير من الأقطار العربية"[15]، على سبيل المثال لا الحصر.

شكل النصف الثاني من القرن العشرين مرحلة جديدة في النقد العربي وذلك من خلال تأثره بالنتاج النقدي الغربي الذي يبلوره المناهج النقدية، فقد شكلت هذه المناهج ثورة فكرية مست كل

جوانب النقدية العربية، وانعكست على سياقه العام، حيث انتقل النقد العربي من مرحلة الإنغلاق والإنطواء، إلى خطوة للإنفتاح على الآخر، فعمد إلى تمثله ومواكبته فيما يقدمه النقد "من مناهج نقدية" ساعين من خلال ذلك إلى التخلص من قرون من الضعف والجمود الذي لازمهم في النقد مرتكزين على تأثر بما يستجده الغرب من جديد وذلك من خلال الإتصال النقدي ولإنفتاح العرب على الحركة النقدية التي يقودها الغرب، ذلك أنهم صاروا يدركون أن انحصارهم على يمده التراث العربي لن يجدي في شيء مع ارتهان الواقع النقدي الحديث فكان عليهم "آن الأوان لكي ينفتحوا على أفاق النظريات المعاصرة وينفضوا عنهم ما تراكم على أذهانهم من صدأ النظريات القديمة التي لن تقودهم إلا إلى مزيد من التخلف "[16].

إن الحركة النقدية في الوطن العربي جزء من منظومة متكاملة تتصل بمدى الحضور في ساحة الفعل المعرفي الحضاري العام وحينما تكون حياتنا العامة شبه مسلولة فان الحركة النقدية تصاب بالشلل وليس معنى ذلك أنه لا توجد حركة نقدية في وطننا العربي[17]، حيث تتمثل أولى معالم التأثر بالنقد الغربي في:

ب م ن ه ب و ح ب م ش ل آ ل آ ت : هي المناهج التي عاينت النص الأدبي من خلال إطاره التاريخي أو الاجتماعي أو النفسي وتؤكد السياق العام لمؤلفه أو مرجعيته النفسية والظروف التي تحيط به من خلال الإلمام بالمرجعيات الخارجية مع التحفظ على الدخول في النص من خلال تلك السياقات المحيطة بالمبدع .

ويشكل أولى معالم هذا التأثر بالمناهج السياقية في الستينات من القرن الماضي من خلال تمثلها للمنهج التاريخي فهو أول المناهج النقدية ظهورا في العصر الحديث حيث تبلور داخل المدرسة الرومانسية وانبثق عنها مستفيدا من تطور العلوم التجريبية وتطورها حاملا في طياته فكرة التسلسل وتطور والإرتقاء من خلال العمل على تقسيم الأدب وفق عصور وإن النقد يعتمد على إستقرائه على قوانين وضعية يستلهمها من قانون الطبيعة العام ويطبقها على الأدب، ومثله ناقدان انجليزيان {بين جونسون، ودرين} فالأول قيد ملحوظات نقدية مهمة في كتابه كشوف والثاني له براعة في المقارنة بين تغيير الطرائق والتقاليد الفنية، وهو "ما أشاد به {ديفيد ديتشن} يصفه بأنه أول ناقد تطبيقي عظيم في الأدب الانجليزي يستمد من التاريخ لكي يفسر كيف قصر الأدباء العبقرية فببلوغ القياس الذي يتطلب الذوق الحديث"[18].

حيث عمد أعلام المنهج النقدي مثل فرديناند برونتيار{1906/1849م} إلى تمثل لنظرية تشارلز داروين على الفنون والآداب {النشوء والارتقاء}، حيث يرى إن التطور في حقل الظواهر الأدبية يؤدي إلى بروز نوع جديد تتضح فيه بقايا نوع سابق على شاكلة الكائنات العضوية كما جاء في نطريه داروين.

. . . . وما جاء به سانت بيف أن درس لعديد من أدباء وطنه وقام بتصنيفهم إلى مستويات وأنماط، حيث يرى بان شخصية الأديب مفتاح لفهم أدبه، فكما تكون الثمرة تكون الشجرة، وهو ما تناوله تين {1893/1828م}، بربط الأدب بقوانين الطبيعة وفق ثلاثية (العرق الجنس، التاريخ،المكان).

ولا يختلف المنهج الإجتماعي والنفسي عن المنهج التاريخي، لأن منطلقها واحد قائما على مبدأ لا يتغير، هو الاحتكام إلى السياق، من خلال إعطاء السلطة للمؤلف لأنه يرتكز على مؤثرات وظروف خارجية تحدد إبداع، فمكمن الإختلاف فقط يكمن في مفاهيم التي يستند لها كل منهج، حيث أن المنهج الاجتماعي الذي جاء به جورج لوكا تش يحمل مفاهيم نظرية الانعكاس:بأن الأديب يحتكم في أدبه إلى الواقع، وهو مطالب بالالتزام، في تمثل قضايا مجتمع هو رؤية العالم،والقائم على أساس أن الكتابة النقدية الواقية إنما هي في تطورها الواقعي تتحول إلى رؤية للأدب، ولو على حساب جماليات الكتاب الأدبية، حيث تتحول اللغة من واقعية متعالية إلى لغة نقدية راهنة تستمد مرجعياتها من الواقع الراهن .

فتأثر العديد من النقاد بالمنهج الإجتماعي وسعوا إلى تمثله في صورة "رضا حوحو وصالح خرفي من خلال كتابه "مدخل إلى الأدب الجزائري الحديث"، وكذلك محمد مصايف في كتابه "فصول في النقد الأدبي".

. . . . وقد كان لأعمال سيغموند فرويده الأثر البالغ بإنعكاسها على العمل النقدي من خلال تبلور منهج نقدي نفسي من خلال طور الإجراء التحلسفي[19]: يرى في النص الأدبي إنعكاسا للاشعور الأديب فهو من خلال عمله يحمله دلالات نفسية لها أثرها البالغ في حياته النفسية،مما يجعل النص يحمل قصدا معينا وله معناه الضمن، وهو ما بينه باليه أندري أكون: "إن الإشكال الراهن للنقد الأدبي تعود إلى مصدرين اثنين لا ثالث لهما، اللسانيات التحلسفي".

. . . . لقد كان من المهم الإستفادة من المنهج النقدي وبلورته في الدراسة النصوص النقدية ومحاولة البحث والكشف عن مدى تأثير نفسية الأديب في العمل الأدبي، ولكن بكثير من الحذر، ففي هذا يقول السيد قطب: "إنه لجميل أن ننتفع بالدراسات النفسية، ولكن يجب أن تبق للأدب صبغته الفنية، وأن نعرف حدود علم النفس في هذا المجال"[20].

مم نهج مم شلآ ت: هي التي تقارب النصوص مقاربة محايثة، دون الخوض في مرجعيات الخارجية، مع التركيز على النص بوصفه بنية لغوية مكتفية بذاتها، وهي دعوة إلى فتح النص على نفسه وغلقه على المرجعيات بإعتباره يشكل نسقا، قائما على بنية[21].

فالمناهج النسقية جاءت لتكرس سلطة العقل، اللوغوس، وهي لا تخرج من سلطته وقوانينه الحازمة، حيث تعد الشكلانية الروسية بزعامة {فلاديمير بروب، شكلوفسكي} من الأوائل الذين إهتموا بدراسة النص الأدبي من خلال بنيته الداخلية، منطلقا بأن جماليات التي يكتنزها النص هي منعكس للغة التي يحملها وتشكل ماهية،ولقد شكلت الشكلانية اللبنة التي ترتكز عليها البنيوية فيما بعد.

تعتبر البنيوية النموذج النقدي الذي يمثل بحق النقد النسقي، ويمثله {رومان جاكبسون، كلود ليفي،رونالد بارت} مرتكزين على مبدأ عام هو إعطاء السلطة للنص فكان أول ممارسة بنيوية على قصيدة للشاعر الفرنسي الرمزي شارل بود لير، تحت عنوان "القطط، les chat"، حيث يرتكز النقد البنيوي على ثلاث سمات أساسية:

. . . . السمة الأولى: تتمثل في الكلية (totalité)، هو أن البنية لا تتألف من عناصر خارجية تراكمية مستقلة عن الكل، بل تتكون من عناصر داخلية خاضعة للقوانين المميزة للنسق،من حيث هو نسق ولا ترتد قوانين هذا النسق إلى ارتباطات تراكمية بل هي تضفي على الكل من حيث هو كذلك خواص المجموعة باعتبارها سمات متمايزة عن العناصر وليس المهم في البنية النص، أو الكل الذي يفرض نفسه على العناصر باعتباره كذلك وأمنها المهم في البنية هو العلاقات القائمة بين العناصر أعنى عملية التأليف آو التكوين على إعتبار أن الكل ليس إلا الناتج المترتب عن تلك العلاقات آو التاليات مع ملاحظة هذه العلاقات ليس إلا قانون النسق نفسه أو المنظومة نفسها[22].

. . . . السمة الثانية: وهي التحولات فهو أن مجامع الكلية تنطوي على ديناميكية ذاتية، تتألف من سلسلة من التغييرات الباطنية التي تحدث داخل النسق أو المنظومة خاصة في الوقت نفسه لقوانين البنية الداخلية دون التوقف على أية عوامل خارجية وهم يرون أن البنية ليست في حالة سكون مطلق بل هي قائمة على تغيرات وفق علاقات النسق وتعارضانه لان مدارها على التفاعل بين البنيات وتكونها.

السمة الثالثة: التنظيم الذاتي فهو أن وسع البنيات نفسها بنفسها،مما يحفظ لها وحدتها ويكفل لها المحافظة على بقائها وتحقق لها ضربا من الإنغلاق الذاتي ومعنى هذا أن للبنيات قوانينها الخاصة التي تجعل منها مجرد مجموعات ناتجة عن تراكمات عرضية آو ناجمة عن تلاقي بعض العوامل الخارجية المستقلة عنها بل هي نسق مرتبطة تنظم ذاتها سائرة على تسج مرسوم وفق قواعد منتظمة، خاضعة لقواعد معينة، وعلى الرغم من أن كل بنية منغلقة على ذاتها، ألا أن هذا الإنغلاق لا يمنع البنية الواحدة من أن تتدرج تحت بنية أخرى ما دامت قائمة على النظام والإنتظام، أن المنتج البنيوي شهد إستقطاب العديد من الباحثين والنقد في الوطن العربي، ذلك أن الاهتمام بالبنيوية نابع من أن عملية تحديث النقد في الوطن العربي إنما تمتد إلى السبعينيات من القرن الماضي، ولأن البنيوية نفسها لم تكن منهجا صافيا، لإشتراكها بالموروث لشكلاني واللغوي واللساني وإمتدادها إلى المناهج التي جاورتها فظهرت كتب عديدة مترجمة عن البنيوية من خلال البحث في إسهامات البنيوية في المقاربة النقدية، حيث وضعت باحثات جزائريات {دليلة مرسلي وكريستيان عاشور وزينب بن بوعلي ونجاة حدة وبوبا ثابت} كتاب مميزا هو "مدخل إلى التحليل البنيوي النصوص"1985م، ساعين فيه إلى تقديم بعض الاقتراحات حول تحليل النصوص الأدبية ضمن مقاربة وظيفية ونقدية، منبها إلى خطر إنتاج مقالات تقدم نفسها كوصافات، معتمدات في دراستهم على وجوه منهجية كان أن إقترح تودروف مثيلا لها :

. . . . العلم اللفظي الذي يسمح بدراسة الثوابت التي تتم وفقا لها معالجة الأحداث والوقائع الخاصة بالتجربة ضمن النص من وجهة نظر أسلوبية، ومن وجهة نظر زمنية، ومن وجهة نطر موقف المؤلف، من وجهة نظر مدى مشاركة المؤلف بما هو الذات الفاعلة للخطاب "ذلك أنهم يحللون عناصر النص ويعرفونها على أساس علاقتها بالمجموع الذي ينظمها لإكتشاف بنيتها طبقا للمنهج الإستقرائي"[23].

. . . . العلم الدلالي الذي تتعلق دراسته بالإستعارات والمسائل والذي يطرح مشكلة العلاقات بين النص والواقع.

. . . العلم النحوي الذي تربط دراسته إلى العلاقات التي تقوم بين وحدات الأدنى لخاصة بالنص.

. . . . إن المناهج النسقية وعلى رأسها البنيوية على الرغم مما قدمته من معالم جديدة في دراسة النص الأدبي إلا أنها لم تسلم من النقد على اعتبار محاولة الوصول إلى جمالية الأدب بغلق النص عن سياقاته وهو ما جعلها تتلقي مآخذ كثيرة "عيب على البنيوية أنها تهدف إلى خلع الأعمال الأدبية عن جذورها وقتلها"[24].

. . . . نستنتج أن تأثر النقد العربي بالمناهج النقدية، ما هو إلا جزء يسير من حركة نقدية شاملة دفعت بالنقد العربي ونفضت عليه الجمود الذي راوحه سرحا من الزمن،فلقد كان لهذه الحركة النقدية أن أعادت ملئ رفوف المكتبات بالكتب وأعادت للأدب قرائه فعادت الحركية والنشاط النقدي من جديد "أسهمت حركة النصوص والكتب النقدية والمتعلقة بالنقد الجديد، والإتجاه الشكلاني عموما في إعتناء المكتبة العربية ووضعت أمام الباحثين والدارسين مجموعة هامة من الأفكار، والنظريات والمناهج النقدية التي لها تأثيرها الواضح على توجهات النقد العربي المعاصر عموما، وعلى النقد الروائي تحديدا"[25].

ي ص ل ب ل آ ت ذ ع ل آ ق ب م ن ه ب و ح ب م ه ك ل آ ت ق ل آ س ي ش ت ب م ذ ع ي ق ب ش ر ي ب ل ه ث ه ل آ ن ب م ه ك ر ي م غ ت ر ب م ف ل ب م ن ش ب ط):

أسهمت الحركة النقدية بما شملته من مناهج (سياقية/ نسقية) في إثراء الساحة النقدية العربية بمنتوج نقدي حديث ثري كما وكيفا في دراسة الخطاب الأدبي، لذلك فمن الإجحاف تجاهل أو إنكار قيمة هذا الحراك النقدي الحداثي، لكن كان لتلقف تلك المناهج بطريقة عير ممنهجة في تمثلها أن تسبب في تولد ركام نقدي في أغلبه غير تام المعالم، فما ينفك النقاد العربي يتعرف على منهج حتى يتأثر ويتلقف منهجا جديد دونما أن يكمل إطلاعه على الأسس النقدية للمنهج الأول، وذلك راجع إلى أن الناقد العربي وجد ذاته منفتحة على تلقف ركام من المناهج النقدية، التي وجدت بالأساس لدراسة خطاب أدبي غربي له أسسه وخلفياته الإبستيمولوجية مما يتوجب عليه في دراسة الخطاب لأدبي العربي الذي له خصوصياته أن يتحلى بالحيطة والحذر في تعامله بالمناهج النقدية وعدم التعصب لأي

منهج "من الأمثل إلتزام الحيطة وعدم التعصب لمنهج على آخر، وإختيار طريق للبحث مفتوح"[26]، كما أن هذه الحيطة التي يتوجب على الناقد أن يعيها بوعي تام هي تضخيم قيمة المناهج ذاتها أمام الذات الناقدة في دراسة الخطاب الأدبي، مما تنعكس بالخضوع التام لها، فيحد من حرية الناقد وتجعله مقيدا على الرغم من كونه يحمل رؤية نقدية تصوغ من خلالها إختيار المناهج بما يتناسب والمقاربة التي يود طرحها "إننا بدون منهج صارم ف الحقيقة، لا نستطيع أن نقرأ، لكن أيضا بالخضوع المتبلد القاصر لمثل هذا المنهج، نستلب حريتنا منا، ونتقيد بقيود تكبلنا، فلا نستطيع أيضا أن نقرأ قراءتنا الخاصة بنا، أي إننا لا نستطيع أن نبدع في هذه القراءة طالما رمينا بأنفسنا في مستنقع إجراءات هذا المنهج"[27].

من المسلمات النقدية هو إدراك الناقد لعدم وجود منهج نقدي تام المعالم ومطلق النتائج، ذلك أن مختلف المناهج النقدية تتسم بالنسبية مما يجعلها قاصرة في العديد من المرات في الكشف عن المعالم النقدية للخطاب الأدبي أي كان (شعر، نثر، سرد، رواية أو قصة)، وبالتالي لا يكون المنهج صالحا لدراسة كل النصوص وبإختلافها، ذلك أن لكل نص أدبي خصوصيته التي تفرض مقاربة نقدية معينة تجعله مختلفا عن باقي النصوص الأخرى، وبالتالي فكل نص يفرض على الناقد في بعض الحالات إتباع منهج نقدي مستقل عن باقي النصوص الأخرى "فإن كل نص أدبي يفرض على دارسه منهجه المستقل، فللنص القصصي منهج، وللنص الشعري منهج، وللنص المسرحي منهج، وهلم جرا...فلا سواء نص أدبي قوامه الشخصيات والحوادث، ونص أدبي آخر قوامه التجريد والتأمل"[28].

وهذا الإشكال في مقاربة الخطاب الأدبي من خلال لا ثبات في إنتهاج منهج نقدي معين، يبين مدى قصور وعجز المناهج النقدية في الوصول لنتائج نقدية توافق الرؤية النقدية التي يريد الناقد الوصول لها، وهذا الإشكال راجع لعاملين، إما لطبيعة الناقد ذاته من خلال ما يحمله من رؤية نقدية في دراسة النص إما شكلا أو المضمون، وإما السبب راجع للنص الأدبي ذاته الذي يفرض على الناقد إنتهاج منهج نقدي معين دون غيره، لذلك يرى الدكتور الناقد عبد الملك مرتاض إلى ضرورة إنتهاج منهج نقدي تكاملي يتأسس من تركيب بين المناهج لتجاوز القصور الذي تعرفه هذه المناهج عندما يأخذ بها كل على حدا، وهذا التنظير النقدي القائم على التركيب (منهج هجين) إنما هو نابع من التأثر بالتجربة النقدية الغربية الني أخذت تتبع التركيب بين المناهج في دراسة الخطاب الأدبي "إن التعددية

المنهجية أصبحت تشيع الآن في بعض المدارس النقدية الغربية، ونرى أن لا حرج في النهوض بتجارب جديدة تمضي في هذا السبيل بعد التخمة التي مني بها النقد من جراء إبتلاعه المذهب تلوى المذهب، خصوصا في هذا القرن أي في القرن العشرين"[29]، فيغدوا التهجين المنهجي من خلال هذا ضرورة حتمية لا بد للناقد من أن ينتهجها في مقاربته النقدية لتنشيط أدواته وتفعيل إجراءاته، دون الأخذ من أن التهجين المنهجي أمر يسير بل إنها محفوفة بالمخاطر[30].

نبذة:

ـ نخلص في الأخير من خلال تتبعنا للحركة النقدية أن ما إتسمت به الحركة النقدية من تأخر وبطئ، وسرعة في الإنتقال من منهج إلى أخر، وفق مبدأ عام قائم على التلقف والتمثل وإستيعاب النقد العربي لهذه المناهج النقدية الغربية، يوصلنا إلى خلاصة لها قيمة كبيرة تكشف عن تأثير الايجابي لهذه الحركة النقدية على النقد العربي، بحيث إنها شكلت ثورة نقدية حقيقية على الركود النقدي الذي ساد النقد العربي قرون وسنين.

ـ إن الحركة النقدية إستطاعت أن تبين مدى مسايرة النقاد العرب لهذه المناهج النقدية والتي إنعكست بتنشيط النقد العربي، وهو دليل على مدى وعي الناقد العربي بالمثاقفة، وأن الإرتهان لهذه المناهج النقدية هو إنعكاس لوعي الأنا بالأخر، من خلال التدرج في استيعاب المناهج النقدية على الرغم من تميزها بالتلقف والسرعة في الإنتقال من منهج إلى أخر

ـ إن ظاهرة تنطط النقد العربي للمناهج النقدية، منهجا تلوى الأخر، ليس في مرد ذلك إلى ضعف النقد العربي، بل إن هذا التلقف والسرعة في الإنتقال من منهج لآخر إنما هو تصوير وتوضيح لحقيقة واضحة تتمثل في عقم وعجز هذه المناهج ذاتها بحيث تبدوا غير قادرة على استنطاق الخطاب الأدبي وهو ما يفسر تنقله المستمر وذلك بحثا عن منهج قادر على دراسة الخطاب الأدبي بطريقة خلاقة، وإلا بما نفسر تمرد البنيويون على البنيوية على الرغم من طفرتها في النقد.

ـ إن إرتهان الناقد العربي لهاته المناهج النقدية هو نظرته إليها بكثير من المثالية النقدية واعتمادها نموذجا في دراسة الخطاب الأدبي، وهذا راجع إلى السياق الذي عايشه النقد العربي في القرون الماضية، فسعى من خلالها إلى بعث النقد من جديد ومسايرة الحركة النقدية العالمية من جهة أخرى،

وهي دليل أخر على قيمة المناهج النقدية الغربية في تحقيقها لمبدأ الشمولية من خلال إنتاجها لقالب نقدي يصلح أن يتمثل في أي نص وأي مكان وزمان، وهو قيمة مضافة في السعي لعولمة النقد.

_ إن المناهج النقدية قائمة على القصور الوظيفي، على الرغم ما تتميز به من موضوعية ومنطقية، ذلك أن هذا القصور هو نابع من نسبية النتائج المتحصل عليها من دراسة وتحليل النصوص الأدبية، لأنها بصفة عقلانية تتعامل مع نتاج إبداع إنساني، فلا يمكن جعل النص الأدبي مادة جامدة، مما جعل العديد من النقاد يستندون إلى المناهج الكمالية "منهج هجين".

_ إن النظرة المثالية، التي يحملها الناقد العربي حول المناهج النقدية العربية، ليست في شيء من ذلك، حيث أن داخل المنهج النقدي الواحد تشهد سجالا وانشقاقا بين أعلامه، مما تنعكس بالانتقال لتأسيس منهج نقدي أخر، وإلا ما السر وراء الإنتقال من المناهج {السياقية إلى النسقية }، وداخل المناهج النسقية نفسها تشهد تغيرات ديداكتيكية، إذا فهو تعبير واضح عن عقمها من جهة وقصورها من جهة أخرى.

_ إن المناهج النقدية المعاصرة على قيمتها النقدية إلا أنها تبقى قاصرة في الوصول بالمقاربة النقدية بصورة ترضي الرؤية النقدية التي يتحلى بها الناقد من جهة ولطبيعة النصوص الأدبية من جهة أخرى والتي تفرض على الناقد إتباع منهج نقدي دون الآخر، لذلك ينظر عبد الملك مرتاض إلى ضرورة إتباع منهج نقدي تركيبي بين المناهج لتجاوز ذلك القصور، لكن هذا التهجين النقدي ليس في السهول بشيء لأنه تعامل نقدي يحمل كثيرا من المخاطرة والمجازفة فهو أمر غير يسير على الناقد لذلك وجب عليه التحلي بالروح النقدية وبكثير من الحيطة والحذر.

_ وهو ما يجعلنا نؤكد على خلاصة مفادها: "أن إكتشافانا المتأخر للمناهج النقدية الغربية، أفضل بكثير ملايين المرات من جهلنا التام لها".

كبا نتم نضبس يم نس ح ه:

(1)_ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم إبن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، 2003، مادة حرك.

(2)_ مرتضى الزبيدي، تاج العروس، تحقيق علي مشري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،2003،ص539.

(3)_ مهدي غالب، في سبيل موسوعة فلسفية، دار و مكتبة الهلال، بيروت، لبنان،1989،ص 8.

(4)_ حسني السيد، علم اجتماع السياسي المفاهيم والقضايا، دار الكتاب للتوزيع والنشر، القاهرة، ط1996،1،ص251.

(5)_ ماسين أمازيغ، في مفهوم الحركة الثقافية الأمازيغية، مجلة الحوار المتمدن، العدد19،2007/05/2220، ص14.

(6)_ ابن سلامة الجمحي، طبقات فحول الشعر، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة مدني، القاهرة، مصر،ط2، 1997،ص5.

(7)_ ديفيد ديتش، مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، ترجمة محمد يوسف، دار صادر، بيروت، لبنان،1981،ص98.

(8)_ عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر،2005،ص50.

(9)_ سمير سعيد، مشكلات الحداثة، الدار الثقافية للنشر،القاهرة، مصر، ط2002،2،ص14.

(10)_ يمنى العيد، في معرفة النص، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1999،4،ص126،125.

(11)_ عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، ص30.

(12)_ عامر مخلوف، متابعات في الثقافة والأدب، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر،2002،ص205.

(13)_ سيد البحراوي، البحث عن المنهج النقدي العربي الحديث، دار الشرقيات، القاهرة، مصر،1998،ص50.

(14)_ سعد البازغي، استقبال الأخر، الغرب في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء،المغرب،2004،ص232.

(15)_ عبد الحميد أحمد الحسافي، الحركة النقدية الجزائرية متفوقة على كثير من الأقطار العربية، جريدة الفجر، العدد 15،93554، ديسمبر/2008، ص22.

(16)_ رومان سالدن، النظرية الأدبية المعاصرة ،ترجمة جابر عصفور،دار قباء للطباعة والنشر ،القاهرة مصر،1998،ص9.

(17)_ عبد الحميد أحمد الحسافي، المرجع السابق، ص22.

(18)_ صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر،1997،ص25،24..

(19)- عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، ص138.

(20)- سيد قطب،النقد الأدبي أصوله ومناهجه ،دار الشروق ،بيروت ،القاهرة،1995 ،ص 191.

(21)_ جميل الحمداوي، نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، نشر شبكة الألوكة، المغرب،2004،ص13.

(22)-زكرياء إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر،القاهرة، مصر،1997،ص30.

(23)- المرجع نفسه،ص31.

(24)- صلاح فضل ،مناهج النقد المعاصر ، ص95.

(25)- إبراهيم رماني، أوراق في النقد الأدبي، دار شهاب، باتنة، الجزائر، ط1 ،1985،ص110.

(26)- عبد الملك مرتاض، دراسة سيميائية لقصيدة أين ليلاي؟، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 8.

(27)- عبد الملك مرتاض، القراءة وقراءة القراءة، مجلة علامات في النقد، جدة، ج15، 4 مارس 1995، ص 207.

(28)- عبد الملك مرتاض، النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1983، ص 54.

(29)_ عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 6.

(30)_ فريد أمعضشو، المنهج في التجربة النقدية لعبد الملك مرتاض، مجلة عود الندى،المغرب، عدد 60، 22 فيفيري 2014، ص 5.